هوامش

يحتضن الكورنيش البحري لبيروت الكثير من حكايا الناس الذين ألفوا هذا المكان وبات جزءاً من يومياتهم. وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت عليه، ما زال يشكل متنفساً لكثيرين

يبيع البالونات على الكورنيش البحري (حسين بيضون)

عين المريسة

حياة بيروت يحفظها الكورنيش

بيروت ـ **ناهلة سلامة**

للمدن ذاكرة لا تموت. نراها في وجوه روادها وعجوز اتخذ مقعدا جانبيا ألفه ليشاركه قصصه. فالمكان ليس حجارة ولا حدودا يرسمها معماريون، بل هو حالة تشكلها الشعوب. هو بيوت ونوافذ وأرصفة وضحكات يتشاركها الناس وصور في الذاكرة. ويقول الكاتب إبراهيم نصرالله عن المدن: «كل مدينة لم أتهاو على مقاعدها الرصيفية متعباً لا أستطيع القول إني عرفتها»، وكأن المدينة تحمل ثقل ذكرياتنا... تعبنا وفرحنا. التغيّرات التي تصيب المدن لا تغير وقعها على سكانها. فبين الحنين إلى الماضي والحاضر خلطة سحرية تشكل هوية المدينة من جديد. ولواجهة بيروت البحرية وامتدادها من رملة البيضاء وحتى منطقة الزيتونة تاريخ طويل. عرفت باعة متجولين ومطاعم أصبحت جزءاً من ذاكرة بيروت. وتشكل صخرة الروشة هوية هذه المنطقة الجغرافية. لكورنيش عين المريسة البحري قصص نسجها روادها في يومياتهم وعايشوا تفاصيلها. ويعتبره البعض جسر عبور فوق انقسام اللبنانيين وتلوناتهم السياسية وفروقاتهم الطبقية. هو عبارة عن مساحة واسعة يجتمع فيها المواطنون لممارسة الرياضة، أو التنزه، أو لقاء الأصدقاء. هؤلاء يهربون من صخب المدينة اليومي وهموم الحياة ليكون متنفساً يقتسمون فيه بعض الفرح المتبقي في هذه البلاد.

يقول أحد المخاتير القدامى في المنطقة لـ «العربي الجديد»: «سُميت المنطقة عين المريسة نسبة لأسطورة قديمة»، لافتاً إلى أن الاسم تطور من عين الريسة ليصبح عين المريسة. وتقول الروايات إن الاسم ينسب لراهبة (الريسة) ويقال إن مركبها غرق في مكان قريب من الشاطئ لتكمل رحلتها على اللوح المتبقي من المركب وتصل إلى المنطقة. وتفيد الرواية بأنه كان إلى جانب الكورنيش عمود صغير بنت الراهبة ديرا مكانه. أما تسمية العين فتعود لوجود المنطقة قرب الشاطئ؛ فكلما حفروا عمق مترين وجدوا مياها فأصبح الاسم دلالة للعين وللريسة». يتابع: «حتى العام 1975، لم يكن شكل الكورنيش كما هو الآن. كان يصل إلى حدود الجامع الذي عرف حينها باسم جامع البحر. وكانت حدود هذه المنطقة تمتد من مطعم عرف قديماً باسم الطارج حتى حدود مسبح السان جورج. وتغير شكل البيوت. كان القرميد يزين أسطح البيوت التي تملكها عائلات بيروتية قديمة كعائلة الغندور، وأزيلت منازلهم بقرار من الدولة لبناء الكورنيش وفتح طرقات جديدة، على الرغم من منع البناء قرب البحر في السابق. ويرى أن الحداثة في المنطقة أكلت من جماليتها وتاريخها، فلا مصداقية بحفظ التراث». يضيف: «في الجهة المقابلة للكورنيش، كان هناك مكان يسمى حمّام الجمل وحمّام النورمندي وهما متصلان واحدهما بالآخر». ويستطرد قائلاً: «حتى عائلات المنطقة تغيرت وأتت عائلات جديدة من خارجها».

باختصار

لكورنيش عين المريسة البحري قصص نسجها روادها في يومياتهم وعايشوا تفاصيلها. ويعتبره البعض جسر عبور فوق انقسام اللبنانيين وتلوناتهم السياسية وفروقاتهم الطبقية

■■■

تطور الاسم من عين الريسة ليصبح عين المريسة. وتقول الروايات إن الاسم ينسب لراهبة هي الريسة ويقال إن مركبها غرق في مكان قريب من الشاطئ لتكمل رحلتها على اللوح المتبقي من المركب وتصل إلى المنطقة

ولرواد كورنيش عين المريسة قصص مختلفة عن يومياتهم وذكرياتهم المرتبطة به. يمكن أن تجد مجموعة من الشباب تطلق على نفسها اسم أبطال الريشة، تلتقي يومياً في الصباح للعب الريشة الطائرة (تنس الريشة). ويقول حسين عساف وهو صاحب غاليري في منطقة الأوزاعي (جنوب بيروت) لـ «العربي الجديد»: «نحن موجودون على هذا الكورنيش منذ عام 1990 بعد الحرب الأهلية وحتى اليوم صيفاً وشتاء. بدأتُ فكرة أبطال الريشة مع شقيقي خضر، قبل أن ينضم إلينا أشخاص جدد من رواد الكورنيش. ومن شروط اللعبة التركيز. وتعلق كثر بهذه الرياضة وأصبحوا أبطالاً. فعند وصول المتبارين إلى أعداد كبيرة نقيم مباريات خارج المنطقة في ملعب في منطقة الأوزاعي».أما هشام مجدرة الستيني، وهو ابن بيروت وحكمٌ في مجموعة أبطال الريشة، فيقول لـ «العربي الجديد»: «أواظب على النزول إلى ملاعب أبطال الريشة منذ أحد عشر عاماً. انضممت صدفة إلى هذا الفريق لدى مروري بالكورنيش، وتشجعت جداً لممارسة هذه الرياضة. ثم كوّنا معاً تجمعاً وشكلنا لجنة بقيادة يوسف فحص، رئيس اللجنة. كما أسسنا صندوقاً نجمع فيه المبالغ شهرياً من الفريق، ونستخدمه لتأمين لوازم اللعبة». يتابع: «يواظب البعض على الحضور يومياً حتى خلال أزمة الوقود والعواصف في الشتاء. نعتبر أن هذه الرياضة كانت قيمة مضافة لنا وللمارة، الذين يتفرجون على اللاعبين ويشجعونهم». ويقول: «بالنسبة إلي، هذه المنطقة مميزة جداً. كابن بيروت، أقصدها منذ طفولتي. سابقاً لم تكن كما الآن، وكانت صغيرة جداً وتمتد حتى الجامع. وفي الوقت الحالي، أجدها المساحة الأوسع بين المساحات الممتدة بحراً في أرصفتها وأشجارها. فالتحول العمراني جعلها متنفساً للناس، لكننا نفتقد في الوقت الحالي الميكروباصات التي كانت سابقاً تبيع القهوة، بالإضافة إلى بائعي الفول والترمس الجوالين، ونتمنى أن يعودوا».

ويأتي أشخاص من مختلف المناطق ليمارسوا هواية الصيد. يقول رامي، وهو أحد الصيادين الهواة، إن ممارسته للصيد بدأت منذ عامين. «دفعني تأزم وضعي النفسي إلى ممارسة هواية الصيد على الكورنيش، حيث بدأت أتعرف على صيادين آخرين يأتون من مختلف المناطق، وأصبحنا مجموعة من الرجال والنساء تربطنا صداقة قوية وتجمعنا المحبة. نلتقي على الكورنيش عند الساعة السادسة صباحاً وحتى التاسعة مساء. وحين يكون الطقس جميلاً، نتشارك طعام الفطور معاً». يتابع: «حين يتجاوز الإنسان الخمسين من العمر، عليه البحث عن هواية لتجديد حياته واختبار تجارب جديدة، وإلا عانى من اليأس والوحدة».

أما لارا، وهي من إسبانيا وتدرس في لبنان، فتقول لـ «العربي الجديد»: «قررت مع زميلي مراقبة شروق الشمس ليتحول الأمر إلى عادة يومية. نأتي من منطقة الأشرفية حيث نقيم ونتجول على دراجاتنا الهوائية. أشعر بالأسف لعدم وجود الكثير من الدراجات في بيروت بالمقارنة بعدد السيارات والتلوث في الهواء. وما يميز جولتنا رؤية الكثير من الناس باكراً ونبض الحياة في هذه المنطقة، الأمر الذي يشجعنا على الاستمرار».

وأخيراً

كعب أخيل وعنق شيرين

رشا عمران

حين قامت الحرب بين الإغريق والطرواديين وفشل الإغريق في تحقيق الانتصار المطلوب، بدأوا البحث عن أخيل الذي سوف يحقّق لهم الانتصار، كما توقع لهم كاهن معروف، وحين كان أخيل طفلا تنبأ له أحدهم أنه سوف يُقتل في معركة. ولأجل منع ذلك، غطّسته والدته في نهر ستيكس الذي كان يعتقد أن ماءه يمنح الحماية ضد أسلحة الحروب. وفي أثناء تغطيسه في النهر، ظل كعبه الأيمن الذي كانت يد والدته تمسك به بعيدا عن الماء. وفي حرب طروادة، عرف باريس، عدو أخيل، هذه المعلومة عنه، فصوب سهمه المسموم نحو الكعب، ومات أخيل في الحال، بعد أن كان قد انتقم للإغريق، وحقق لهم انتصارات كبيرة. وظل كعب أخيل رمزا لنقطة الضعف القاتلة لدى البشر، النقطة التي يستغلها الأعداء للتسبب في أذية عدوهم. وضعت شيرين أبو عاقلة الخوذة على رأسها، وارتدت سترتها الواقية من الرصاص (بديلتين عن مياه نهر ستيكس). حملت سلاحها الوحيد (ميكرفون نقل الحقيقة) وانطلقت لنقل ما يحدث في جنين، المدينة الفلسطينية المسلمة التي تتعرّض دائما لهجمات جيش الاحتلال الصهيوني. وقفت شيرين مع زملائها في منطقة بعيدة عن المعركة وليس فيها تبادل للرصاص، لكن قناص الاحتلال كان ينتظرها في مكانٍ ما ويراقب تحرّكها. التفتت شيرين قليلا وكشفت تلك المسافة (لم تغطس في ماء النهر من جسدها الأنثوي)، المسافة المكشوفة من العنق بين الخوذة والسترة الواقية، أسفل الأذن مباشرة، وصوّب نحو تلك المسافة طلقة واحدة كانت كافية لإسكات شيرين إلى الأبد. ما من عرّافٍ كان قد أخبر أهل شيرين في طفولتها أنها سوف تُقتل في معركة الحقيقة فيسعون إلى حمايتها، فزمن العرّافين الرّائين الصادقين انتهى مع انتهاء زمن الآلهة المؤنسنة. وشيرين، مثلنا جميعا، ابنة هذا الزمن النذل، الزمن الذي يُقتل فيه البشر لمجرّد قولهم حقيقة ما، الزمن الذي لا يعاقِب أحدٌ فيه القتلة المنفلتين من عقالهم، لا تعاقبهم عدالة الأرض ولا عدالة السماء.

عنق شيرين سوف يكون الرمز الجديد للعصر الحديث، بدلا من رمزية كعب أخيل، فإنْ كنا قد قرأنا عن أسطورة أخيل في الكتب والمروّيات، فإننا رأينا كيف استهدف القناص نقطة الضعف في جسد شيرين أبو عاقلة على الهواء مباشرة. استهدف باريس كعب أخيل لإضعاف قوة الاغريق، بينما استهدف قناص الاحتلال عنق شيرين لإعدام الحقيقة، فلطالما كانت شيرين صوت الحقيقة القوي والواضح، ولطالما كانت الشاهدة المعروفة والعلنية على جرائم الاحتلال، لم تتخفّ يوما ولم تتوارَ ولم يحمها أحد على عادة حماية شهود الإثبات، بل ظلت على ثبات قرارها في قول الحقيقة كل يوم، وهي تدرك أن «لجنة المحلفين» متواطئة مع القتلة. ومع ذلك لم تيأس ولم تتوقف، حتى اتخذ القاتل قرارا بإسكاتها إلى الأبد، مستغلا نقطة الضعف التي يعرفها فيها. القاتل ذكي، هذا ما يثبته الزمن دائما، أقصد القاتل المنهج والمنظّم. القاتل كمؤسسة ونظام، وليس كفرد أو شخص، يدرك هذا القاتل، (في حالة شيرين هو دولة الاحتلال، وفي حالة سورية هو النظام)، أن لضحاياه نقاط ضعف كثيرة، يعرف كيف يكشفها حين يشاء، كي تضيع جريمته وتتحوّل إلى هامش، بعد أن كانت متنا واضحا وصريحا، فقبل أن تُوارى الشهيدة الثرى، انشغل عربٌ بجواز الرحمة لها من عدمه. لم يعد موتها بهذه الطريقة النذلة والفاجرة مهماً، صار فقط مناسبة لإطلاق فتاوى دينية، واستعراض درجات التعصب والعنصرية والإيمان بمذاهب ودين تحوّل أتباعٌ له إلى مجموعات ضيقة الأفق، وتضيق معها رحمة الإله التي تسع كل شيء، بينما تفسح للقتلة المساحات الواسعة، كي يرتكبوا جرائم متتالية وكبيرة، وهم يعرفون أن ضحاياهم سوف يساعدونهم على مسح آثارها والتعمية عليها. والحال أن أمثال شيرين أبو عاقلة، على قلتهم، موجودون وسيتابعون مسيرتها، وربما سيحاولون إخفاء مستقرّ السهم المسموم أو الرصاصة القاتلة في أجسادهم، لكن نقطة الضعف في الجسد العربي المسلم، تلك المعروفة للأعداء والقتلة جيدا، سوف تبقى طويلا تحمي القاتل من العقاب، وتمحو جريمته من الذاكرة الجمعية لشعوبنا، لصالح هراء مذهبي وطائفي وديني، استطاع أصحابه تحويل كل القضايا العامة العادلة لشعوبنا إلى قضايا فئوية وتافهة ومنحطّة، تشبه انحطاط الزمن الذي نعيش فيه، زمن القتلة والعصابات والمجرمين والآلهة الصامتة والعرّافين الكاذبين.

> أمثال شيرين أبو عاقلة، على قلتهم، موجودون وسيتابعون مسيرتها، وربما سيحاولون إخفاء مستقرّ الرصاصة القاتلة في أجسادهم

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**